

الباب الخامس : في الآداب والحكم وما أشبه ذلك

قال الحكماء : إذا أراد الله بعيد خيراً ألهمه الطاعة ، وألزمه القناعة ، وفقهه في الدين ، وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف^(١) واكتسب بالعفاف . وإذا أراد به شراً حجب إليه المال ، وبسط منه الآمال ، وشغله بدنياه ، ووكله إلى هواه ، فركب الفساد ، وظلم العباد ، الثقة بالله أزكى أمل ، والتوكل عليه أوفى عمل ، من لم يكن له من دينه واعظ ، لم تنفعه المواعظ ، من سره الفساد ساءه المعاد ، كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع ، لا يغرنك صحة نفسك ، وسلامة أمسك ، فمدة العمر قليلة ، وصحة النفس مستحيلة ، من أطاع هواه باع دينه بدنياه ، ثمرة العلوم العمل بالمعلوم ، من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن قنع بعبائنه لم يدخله حسد ، أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ، خير الناس من أخرج الحرص من قبله ، وعصى هواه في طاعة ربه ، نصرة الحق شرف ، ونصرة الباطل سرف .

البخيل حارس نعمته ، وخازن لورثته . من لزم الطمع عدم الورع . إذا ذهب الحياء حل البلاء . علم لا ينفع كدواء لا ينجع . من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه ، ويهين نفسه في إكرام دنياه . أيام الدهر ثلاثة : يوم مضى لا يعود إليك ، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ، ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهله . من كثر ابتهاجه بالمواهب ، اشتد انزعاجه للمصائب . لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ، ومن عمرك في فسحة . عظ المسيء بحسن أفعالك ، ودل على الجميل بجميل خالك . إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويحرك من عدوك ما سكن . لا يجد العجول فرحاً ، ولا الغضوب سروراً ، ولا المملول^(٢) صديقاً .

حسن النية من العبادة ، حسن الجلوس من السياسة^(٣) . من زاد في خلقه ، نقص من حظه . من اتّمن الزمان خانه . أظهر الناس محبة ، أحسنهم لقاء . لا يكمل للإنسان دينه ، حتى يكون فيه أربع خصال : يقطع رجاءه مما في أيدي الناس ، ويسمع شتم نفسه ويصبر ، ويحب للناس ما يحب لنفسه ، ويثق بمواعيد الله . وإياك والحسد فإنه يفسد الدين ، ويضعف اليقين ، ويذهب المروءة . قيل لأفلاطون . ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً ، قال : مدح الإنسان نفسه . أربعة تؤدي إلى أربعة : الصمت إلى السلامة ، والبرّ إلى الكرامة ، والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة . من ساء تدبيره أهلكه جده . الغرة ثمرة الجهل . آفة القوة استضعاف الخصم . آفة النعم قبح المن . آفة الذنب حسن الظن . الحزم أسد الآراء ، والغفلة أضر الأعداء .

من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ، ومن نام عن عدوّه أيقظته المكائد . من قرب السفلة وأطرح ذوي الأحساب والمروءات استحق الخذلان . من عفا تفضل . من كظم غيظه فقد حلم . من حلم فقد صبر ، ومن صبر فقد ظفر . من

(١) الكفاف : القليل مما يكفي الإنسان .

(٢) المملول : كثير الملل سريع .

(٣) السياسة هنا : التدبير والمداورة .

ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار: حين يغضب، وحين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي. من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما، ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما. كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل. كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله، فقل سديداً، وافعل حميداً. من عرف شأنه، وحفظ لسانه، وأعرض عما لا يعنيه، وكف عن عرض أخيه، دامت سلامته، وقلت ندامته. كن صموتاً وصدوقاً، فالصمت حرز، والصدق عز. من أكثر مقاله ستم، ومن أكثر سؤاله حرم، من استخف بإخوانه خذل، ومن اجتراً على سلطانه قتل. ما عز من أذل جيرانه، ولا سعد من حرم إخوانه. خير النوال ما وصل قبل السؤال. أولى الناس بالنوال أزهدهم في السؤال.

من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه. من غاظك بقيق الشتم منه، فعظه بحسن الحلم عنه. من يبخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه. إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره. من جاور الكرام أمن من الاعداء. من طاب أصله زكا فرعه. من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة. من مَنَّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط^(١) أجره. من رضي من نفسه بالإساءة، شهد على أصله بالرداءة، من رجع في هبته بالغ في خسته. من رقي في درجات الهمم عظم في عيون الأمم. من كبرت همته كثرت قيمته. من ساء خلقه ضاق رزقه. من صدق في مقاله زاد في جماله. من هان عليه المال توجهت إليه الآمال. من جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل.

خير المال ما أخذ في الحلال وصرف في النوال، وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف في الآثام. أفضل المعروف إغاثة الملهوف. من تمام المروءة أن تنسى الحق لك، وتذكر الحق عليك، وتستكبر بالإساءة منك وتستصغرها من غيرك. من أحسن المكارم عفو المقتر. جود الرجل يحنُّه إلى أصدقائه، وبخله يبغضه إلى أودائه^(٢). لا تسىء إلى من أحسن إليك، ولا تعن على من أنعم عليك. من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه. من طال تعديه كثرت أعداؤه. شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم. من حفر حفيراً لأخيه كان حتفه فيه. من سل سيف العدوان أغمد في رأسه.

من لم يرحم العبرة سلب النعمة، ومن لم يقل العثرة سلب القدرة. لا تحاج^(٣) من يذهلك خوفه، ويملكك سيفه. صمت تسلم به، خير من نطق تندم عليه. من قال ما لا ينبغي، سمع ما لا يشتهي. جرح الكلام أصعب من جرح الحسام. من سكت عن جاهل فقد أوسعه جواباً، وأوجعه عتاباً. من أمارت شهوته أحمأ مروءته. من كثرت عوارفه كثرت معارفه. من لم تقبل توبته عظمت خطيئته. إياك والبغي فإنه يصرع الرجال، ويقطع الآجال. الناس في الخير أربعة أقسام: منهم من يفعله ابتداء، ومنهم من يفعله اقتداء، ومنهم من يتركه حرماناً، ومنهم من يتركه استحساناً، فمن فعله ابتداء فهو كريم، ومن فعله اقتداء فهو حكيم، ومن تركه حرماناً فهو شقي، ومن تركه استحساناً فهو دنيء. من سالم سلم، ومن قدم الخير غنم. من لزم الرفاد عدم المراد، ومن دام كسله خاب أمله.

العجول مخطيء وإن ملك، والمتأنى مصيب وإن هلك. من امارات الخذلان معاداة الإخوان استفساد الصديق

(١) حبط: خسر.

(٢) أوداؤه: أصحاب وده، أصدقائه.

(٣) المحاجة: المجادلة وعرض الحجج.

من عدم التوفيق. الرفق مفتاح الرزق. من نظر في العواقب سلم من النوائب، ومن أسرع في الجواب أخطأ في الصواب. من ركب العجل أدركه الزلل. من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه. من قلت فضائله ضعفت وسائله. من فعل ما شاء لقي ما ساء من كثر اعتباره قل عثاره. من ركب جده غلب ضده، القليل مع التدبير أبقي من الكثير مع التبذير. ظن العاقل أصح من يقين الجاهل. قليل تحمد آخرته خير من كثير تدم عاقبته. من خاف سطوتك تمنى موتك. إذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل. من أعجبه آراؤه غلبته أعداؤه. من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة. لا تشتك ضعفك إلى عدوك فإنك تشمت بك وتطمعه فيك. من لم يعمل لنفسه عمل للناس، ومن لم يصبر على كده صبره على الإفلاس. من أفشى سره أفسد أمره.

الحازم من حفظ ما في يده، ولم يؤخر شغل يومه لغده. من طلب ما لا يكون طال تعب. لا تفتح باباً يعيبك سده، ولا ترم سهماً يعجزك رده. سوء التدبير سبب التدمير. اغمد سيفك ما ناب عنك لسانك. ليس العجب من جاهل يصحب جاهلاً ولكن العجب من عاقل يصحبه، لأن كل شيء يفر من ضده، ويميل إلى جنسه. إذا نزل القدر بطل الحذر. رب عطب تحت طلب، ومنية تحت أمنية. لا يخلو المرء من ودود يمدح، وعدو يقده. الجوع خير من الخضوع. الكذوب متهم وإن صدقت لهجته، ووضحت حجته. من طاوعه طرفه اشتد حتفه^(١). من لم تسر حياته لم تغم وفاته. من أعظم الذنوب تحسين العيوب. الشرف بالهمم العالية لا بالرغم البالية^(٢).

إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل. من ساءت أخلاقه طاب فراقه. من حسنت خصاله طاب وصاله. بعد يورث الصفا خير من قرب يوجب الجفا. اللسان سيف قاطع لا يؤمن من حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده. من اطلع على جاره انتهكت حجب أستاره. أجهل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه. أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعة ولم يأنمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها. من سلا^(٣) عن المسلوب كمن لم يسلب، ومن صبر على النكبة كمن لا ينكب. الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراة الدواب. من زادت شهوته نقصت مروءته. من عرف بشيء نسب إليه، ومن اعتاد شيئاً حرص عليه. عند الجدال يظهر فضل الرجال. من آخر الأكل لذ طعامه، ومن آخر النوم طاب منامه.

موت في دولة وعز خير من حياة في ذلة وعجز. مقاساة الفقر هي الموت الأحمر ومسألة الناس هي العار الأكبر. حق يضر خير من باطل يسر. كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر، ومرهوب منه ينفع ولا يضر. عثرة الرجل تزيل القدم، وعثرة اللسان تزيل النعم. المزاح يورث الضغائن. من حلم ساد، ومن تفهم ازداد. معاشر ذوي الألباب عمارة القلوب. شر ما صحب المرء الحسد. ربما أصاب الأعمى رشده وأخطأ البصير قصده. اليأس خير من التضرع إلى الناس. لا تكن ضاحكاً في غير عجب ولا ماشياً في غير أرب. من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب. الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه. أشرف الغنى ترك المني.

من ضاق خلقه ملأ أهله. الحسد للصدیق من سقم المودة. كل الناس راض عن عقله. دنياك كلها وقتك الذي أنت فيه. استر سوء أخيك لما يعلم فيك. خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم. العجلة أخت الندامة. من كرم أصله

(١) الحنف: الهلاك

(٢) البالية: أي بعظام الأجداد المهترئة.

(٣) سلا يسلو: نسي وطابت نفسه بعد حزن.

لان قلبه. ومن قل ليه زاد عجبه. ربما أدرك بالظن الصواب. ليس لمعجب رأي، ولا لمتكبر صديق. سل عن الرفيق قبل الطريق. وعن الجار قبل الدار. لا تعادين أحداً فإنك لا تخلو من عدواة. جاهل أو عاقل كالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل. ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه. من قل سروره كان الموت راحته. لا تردن على ذي خطأ خطاه فيستفيد منك علماً ويتخذك عدواً. استحي من ذم من لو كان حاضراً لبالغت في مدحه، ومدح من لو كان غائباً لسارعت إلى ذمه.

وقيل: المنفعة توجب المحبة، والمضرة توجب البغضة، والمخالفة توجب العداوة، والمتابعة توجب الألفة، والعدل يوجب اجتماع القلوب، والجور يوجب الفرقة، وحسن الخلق يوجب المودة، وسوء الخلق يوجب المباعدة، والانبساط يوجب المؤانسة، والانتقاض يوجب الوحشة، والكبر^(١) يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة، والجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم، والتواني ويوجب التضييع، والحزم يوجب السرور، والحذر يوجب السلامة، وإصابة التدبير توجب بقاء النعمة، وبالتأني تسهل المطالب، وبحسن المعاشرة تدوم المحبة، ويخفض الجانب تأنس النفوس، ويسعة خلق المرء يطيب عيشه، والاستهانة توجب التبعاد، وبكثرة الصمت تكون الهيبة، وبعدل المنطق تجلب الجلالة، وبالصفة^(٢) تكثر المواصلة، وبالأفضال يعظم القدر، وبصالح الأخلاق تركز الأعمال، وباحتمال المؤن يحجب السؤدد، وبالحلم على السفية تكثر أنصارك عليه، وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة، وبترك ما لا يعينك يتم لك الفضل.

وَأَعْلَمُ أَنَّ السَّيَاسَةَ تَكْسُو أَهْلَهَا الْمَحَبَّةَ. وَمَنْ صَغَرَ الْهَمَّةَ الْحَسَدَ لِلصَّدِيقِ عَلَى النِّعْمَةِ. وَالنَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ نَجَاةً. وَمَنْ لَمْ يَحْلَمْ نَدَمَ، وَمَنْ صَبَرَ غَنِمَ، وَمَنْ سَكَتَ سَلِمَ، وَمَنْ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَ، وَمَنْ فَهَمَ عِلْمَ، وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ضَلَّ. وَمَعَ الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ، وَمَعَ التَّأْنِي السَّلَامَةُ. وَزَارِعَ الْبِرِّ يَحْصِدُ السَّرُورَ، وَصَاحِبَ الْعَقْلِ مَغْبُوطٌ، وَصَدَاقَةُ الْجَاهِلِ تَعِبٌ. إِذَا جَهِلْتَ فَاسْأَلْ، وَإِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَانْدَمْ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَاقْلَعْ. الْمَرْوَاتُ كُلُّهَا تَبِيعٌ لِلْعَقْلِ، وَالرَّأْيُ تَبِيعٌ لِلتَّجَرِبَةِ، وَالْعَقْلُ أَصْلُهُ الثَّبَتُ وَثِمَرُهُ السَّلَامَةُ، وَالْأَعْمَالُ كُلُّهَا تَبِيعُ الْقَدْرِ. وَاخْتَارَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ مِنْ أَرْبَعِ كُتُبٍ: مِنَ التَّوْرَةِ: مَنْ قَنَعَ شَبِعَ.

وَمِنَ الْإِنْجِيلِ: مَنْ اعْتَزَلَ نَجَا.

وَمِنَ الزَّبُورِ^(٣): مَنْ سَكَتَ سَلِمَ.

وَمِنَ الْقُرْآنِ: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وَاجْتَمَعَتْ حِكْمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: لَا تَحْمِلْ بَطْنَكَ مَا لَا يَطِيقُ، وَلَا تَعْمَلْ عَمَلًا لَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تَغْتَرِ بِامْرَأَةٍ، وَلَا تَتَّقِ بِمَالٍ وَلَوْ كَثُرَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) الكبر: الغطرسة.

(٢) النصفة: الإنصاف وهو تأدية الحقوق.

(٣) الزبور: الكتاب الذين أنزل على نبي الله داود.